

الاستماع والتعلم والتطبيق: من إيولا إلى كوفيد-١٩ دروس مستفادة من جمهورية الكونغو الديمقراطية

موجز

تؤثر جائحة فيروس كورونا (كوفيد-١٩) على الناس في سياقات مختلفة كثيرة. وفي حين أن الحق في الحياة بكرامة هو حق عالمي، يجب وضع كل استجابة للجائحة في سياقها الصحيح لتطبيق المعايير الإنسانية على النحو المناسب لتلك البيئة. وتقدم دراسة الحالة هذه أمثلة على الممارسات الجيدة.

النهج الذي يتمحور حول المجتمع المحلي من جانب الجهات الفاعلة الإنسانية أمر بالغ الأهمية للحد من انتشار الأمراض المعدية. فهو يبني الثقة بين مقدمي الخدمات والمتضررين. وهذا يمكن المجتمعات المتضررة من تشراك ملكية التدخلات المنفذة، ما يجعلها أكثر ملاءمة للسياق، وذات صلة، وفعالية. لذا، طبقت بنجاح العديد من الدروس المستفادة من الاستجابة لوباء الإيولا في جمهورية الكونغو الديمقراطية في الاستجابة لكوفيد-١٩. الحاجة إلى الثقة ومشاركة المجتمعات المتضررة في ملكية التدخلات التي يتم تنفيذها أمر بالغ الأهمية في بيئة العمل المعقدة هذه، التي تنطوي على حالات النزوح وعدم الإنصاف وتنامي الانقسام الاجتماعي.

السؤال الرئيسي

كيف يمكن تطبيق المعيار الإنساني الأساسي لضمان مشاركة المجتمع المحلي ومن ثم تحسين أهمية الاستجابة لكوفيد-١٩ وفعاليتها؟

المعايير الإنسانية

تتطلب الاستجابة الإنسانية التواصل والمشاركة ومعرفة آراء السكان لضمان أن تكون التدخلات ملاءمة وذات صلة (الالتزامان ١ و٤ من المعيار الإنساني الأساسي). ومن أجل نجاح مكافحة كوفيد-١٩ يجب تعديل الأعراف الاجتماعية لمنع انتقال المرض. وقد غُذلت الأساليب التقليدية للتواصل مع المجتمعات المحلية (مثل المناقشات الجماعية أو الاجتماعات المباشرة) بسبب القيود المفروضة على السفر والحاجة إلى التباعد الاجتماعي.

مجتمع أريوارا، شرق جمهورية الكونغو الديمقراطية

في الفترة بين عامي ٢٠١٨ و ٢٠٢٠، تأثرت منطقة شرق جمهورية الكونغو الديمقراطية بثاني أكبر تفشي للإيولا في العالم، ما أسفر عن وفاة ٢,٢٨٧ شخصاً. وفي هذا الصدد، قال سيفا أوبيني إنديرا من المركز متعدد التخصصات لتمكين المرأة وأسره (CEMADEF) ومن سكان منطقة أريوارا: "لقد خلق هذا الذعر والخوف والصدمة في المجتمع. لقد تباطأت الأنشطة الاقتصادية وكان الناس يخشون الذهاب إلى المركز الصحي خوفاً من الإصابة". وبدأت الشائعات تنتشر لإلقاء اللوم على العاملين في المجال الإنساني لجلب فيروس الإيولا معهم والإصرار على أن تدخلاتهم لن تؤدي إلا إلى زيادة انتشار الفيروس. وكان لهذه الشائعات تداعيات هائلة: فقد رفض السكان الانضمام إلى حملة مكافحة انتشار الإيولا؛ وكان الشباب يستعدون لحرق موقع العزل، وجرى تهديد مقدمي الرعاية الصحية.



المشاركون في نهج الأثر من منظور السكان أولاً يوزعون ملصقات. الصورة: المعونة المالتية الدولية

الجدير بالذكر أن منظمة المعونة المالطية الدولية (Malteser International) تعمل في المنطقة منذ عام ٢٠٠٠. ومن خلال حملة مكافحة انتشار الإيبولا، تعلمت أنه إذا لم يثق الناس بها، فمن شبه المستحيل أن يثقوا برسائل الوقاية من الإيبولا. ولذلك، قامت المنظمة بتجربة نهج قياس الأثر من منظور السكان أولاً واعتماده كوسيلة لبناء الثقة أثناء الاستجابة للإيبولا.

وفي هذا الإطار، شرح الدكتور جان بول أوفويو، المستشار الصحي الإقليمي لوكالة المعونة المالطية قائلاً: "بهذا النهج الذي يركز على المجتمع، استمعنا إلى المجتمع المحلي من أجل فهم وضع السكان، ومخاوفهم، والشائعات المنتشرة. ثم طورنا الأنشطة بالتعاون مع المجتمع. وباستخدام هذا النهج، استعدنا تدريجياً ثقة المجتمع وتلاشت الشائعات".

شمل تطبيق نهج قياس الأثر من منظور السكان أولاً تنظيم جلستين شارك فيهما نحو ١٥ فرداً من السكان المتضررين. وركزت الجلسة الأولى على الاستماع إلى تصورات المجتمع المحلي وفهم السياق الذي يعيشون فيه. وقد ساعد ذلك موظفي الوكالة على الحصول على رؤى حول مخاوف الناس وتصورهم للفيروس، وساهم في إعادة بناء الثقة. كما ساعد على تحديد نقطة البداية لأي تدخلات.

واعتمدت الجلسة الثانية نقاشاً متبادلاً وعملية تشاركية لتطوير تصاميم لحملة اتصال مجتمعية. وشجع المجتمع على تحديد ما يمكن أن يقوموا به بموارده الخاصة، وعندئذ فقط أضيف دعم تكميلي من الوكالات الإنسانية لسد الثغرات. وفي الجلسة الثانية، شارك الناس مشاعرهم وآرائهم. السكان يكونون أكثر رغبة في مشاركة مشاعرهم عندما تكون هناك علاقة ثقة وعندما يشعرون بالتحفيز.

بعد القضاء على الإيبولا، ظهرت أول حالة إصابة بكوفيد-١٩ في المقاطعة، وتم الإبلاغ عن أكثر من ١٥٠ حالة في الأشهر الستة الأولى. عندما ظهر فيروس كورونا في المنطقة، قررت وكالة المعونة المالطية الدولية استخدام نهج قياس الأثر من منظور السكان أولاً.

وفي هذا الصدد، قال أنطوان مويبيب، المشرف على الرصد والتقييم والمساءلة والتعلم في وكالة المعونة المالطية الدولية: "لقد حددنا معاً السلوكيات التي تمثل خطراً - مثل المصافحة، وليس غسل الأيدي، والتجمع في مجموعات - وبالتعاون مع المجتمع المحلي صغنا الرسائل، والمكان الذي ينبغي أن يتم فيه توجيه هذه الرسائل، والتوقيت والأشخاص المسؤولين. وقد نشط بعض المشاركين وساعدوا في إعداد برامج تفاعلية مع المجتمع المحلي واستضافتها. وشارك أفراد آخرون من المجتمع في حملة توزيع المنشورات وعرض الصور، وفي التواصل من الباب إلى الباب وفي البرامج الإذاعية التفاعلية".

وقام جان-بوسكو باريو-أميو، أحد المشاركين في نهج قياس الأثر من منظور السكان أولاً، وأحد أعضاء رابطة إيتوري للدراجات النارية التي تعمل لنقل الركاب بالأجرة، بنقل الفكرة إلى أعضاء آخرين في جمعيته. ومن ثم، نشر سائقو الدراجات النارية رسائل وممارسات الصحة العامة. وأقاموا مرافق لغسل اليدين في أماكن وقوف الدراجات وأبلغوا الركاب وأسرهم وزملائهم في الرابطة بكيفية الوقاية من العدوى.

الدروس المستفادة

تتطلب الاستجابات للأوبئة والجوائح مثل الإيبولا وكوفيد-١٩ إيلاء أولوية لمشاركة المجتمع. فمن الضروري إعطاء صوت للمجتمع، والاستماع إلى أفراد، وفهم السياق الذي يعيشون فيه، والاستفادة من قدراتهم. عندئذ فقط، سيكون التدخل مناسباً ووجيهاً وفعالاً. يقدم أسلوب قياس الأثر من منظور السكان أولاً نهجاً يمكن أن يكون فعالاً حتى في السياقات الهشة والمتأثرة بالنزاعات، مع الوفاء بالمعيار الإنساني الأساسي (الالتزام رقم ١ من المعيار الإنساني الأساسي: الاستجابة الإنسانية ملائمة وذات صلة؛ والالتزام رقم ٤ من المعيار الإنساني الأساسي: تعتمد الاستجابة على التواصل والمشاركة والتعقيب).

ويجب على الجهات الفاعلة الإنسانية تجنب التصرف كالخبراء الذين يعتقدون أنهم يعرفون كل شيء. وبدلاً من ذلك، ينبغي أن يتصرفوا بناءً على الأفكار التي يطرحها أعضاء المجتمع المحلي ومن ثم إشراكهم في تنفيذ الاستجابة. هذه المشاركة تبني الثقة والتحفيز، وتعزز في الوقت ذاته القدرات المحلية (الالتزام رقم ٣ من المعيار الإنساني الأساسي: الاستجابة الإنسانية تعزز القدرات المحلية وتتجنب الآثار السلبية).

الموارد

- للمزيد عن نهج قياس الأثر من منظور السكان أولاً، شاهد تسجيل الندوة الإلكترونية.
- يمكنك الاطلاع على المزيد من الموارد على [موقع نهج قياس الأثر من منظور السكان أولاً](#).
- اقرأ إرشادات [اسفير بشأن دليل الاستجابة لكوفيد-١٩](#)

لمزيد من المعلومات، يرجى الاتصال بما يلي:

- Johannes Schildknecht, Program Manager DRC, Malteser International: johannes.schildknecht@malteser-international.org
- Mira Gardi, MEAL Manager, Malteser International: mira.gardi@malteser-international.org
- Sphere: handbook@spherestandards.org